



Source : ANS - WAHAR
Date : 21-4-94
Photo No. : 154

يجب ان نخاف التطبيع؟

مرة اخرى، تتأكد رداءة الموقع التفاوضي العربي: دولة عربية تتباحث مع وفد اسرائيلي في استغلال الثروة المائية الاقليمية، وفي عاصمة عربية، فيما تتعثر المفاوضات الفلسطينية - الاسرائيلية، فيتم تجاوز موعد ١٢ نيسان، وتعود سوريا الى شدة الجبال بعدما قيل لنا، في قمة جنيف، ان كل شيء قد حسم.

مرة اخرى، يرى المرء نفسه مدعوا الى الصراخ: "شيء من التنسيق، يا جماعة"، قبل ان يظن ان الامر مقطوع الامل منه. وقطار التسوية، مهما يكن بطيئا، سيحمل على متنه الجميع. لذلك، لا بد ان يجيد التساؤل عن المعوقات الآتية لهذه المسيرة، ليصب في جوهر التسوية. بكلمة اخرى، صار لزاما علينا، واكثر من اي وقت مضى، ان نطرح الاسئلة العملية حول هذا الموضوع الطلسمي الذي اسمه "التطبيع". واولها: هل يجب فعلا ان نخاف التطبيع؟ او انه يمكن ايجاد شروط تخفف من التهديد الذي تنطوي عليه هذه الظاهرة في العرف العام؟

من نافل القول ان الاجابة عن هذا السؤال لا تستقيم اذا بقينا على تصور جامد لاسرائيل. ولكن، هل ما زال ممكنا الابقاء على مثل هذه الصورة عندما نشاهد جنرالات اسرائيل، اي "ابطالها" بكل ما للكلمة من معنى، يتظاهرون دعما للتسوية في وجه العقبات الداخلية التي تعترض حكومة اسحق رابين. لا يعني ذلك انه يجب الانزلاق الى ابداء تعاطف مع اولئك المسالمين الجدد، ولا حتى "فهم" قادة اسرائيل في المشاكل التي يعانونها من جراء اختيارهم التسوية. انما يعني فقط ضرورة "فهم" هذا التطور الحاصل في البلد العدو. بالطبع، لا تختزل السياسة الاسرائيلية بهذه التظاهرة، وتبقى اسرائيل دولة عدوانية. ولنا في ما يحصل في الضفة الغربية وغزة، فضلا عن جنوب لبنان، اكبر دليل على عدوانيتها المستمرة. غير ان مجرد نزول كبار رموز الجسم العسكري الاسرائيلي في معركة التسوية يدل كم ان المؤسسة الاسرائيلية صارت معنية بهذه التسوية، كما انه يشير الى حجم الرهانات الاسرائيلية على السلام.

في المقابل، قد يؤدي الاقرار بجدية الرهان الاسرائيلي الى تركية المخاوف العربية من التطبيع. فإنا كان الاسرائيليون يصرون عليه الى هذا الحد، فإن هذا يفيد ان في الامر مطبات كثيرة. ومع ذلك، لا ينبغي الكف عن التساؤل حول المعاني الفعلية للتطبيع. ودافع التساؤل الاول هو ملاحظة غياب التطابق بين التصور العربي السائد والدراسات الاسرائيلية. فبينما تشيع بين العرب مقولة "الغزو التجاري"، يلاحظ من تحركات اسرائيل الاقتصادية ان هدفها الاكبر من التسوية هو تفعيل التعاون التجاري والصناعي مع... اوربا وحشد التوظيفات الغربية. صحيح ان التطبيع الاقتصادي لن يتوقف عند هذا الحد، ولكن اتجاه اسرائيل المتزايد نحو اوربا يكفي لاقناعنا بشيء من التروي قبل التمهويل.

وانا كان الامر هكذا. في المجال الاقتصادي، فكيف بالتطبيع الثقافي الذي مضى السيد فخري قعوار، امين عام اتحاد الكتاب العرب، يحذرنا منه في الايام الاخيرة؟

قليلاً من الحكمة ايها السادة. فكل من يعرف الثقافة الاسرائيلية يدرك انها عاجزة بمشاشتها عن تهديد ثقافتنا، وان تكن تملك مؤسسات كبيرة قادرة على استدراج مثقفينا. لكن ذلك، إن حصل، لن يعني ان التهديد هو في التطبيع في ذاته، بل سيعني ان العلة هي في انفسنا وضعف مؤسساتنا. لذا قد يكون اجدى لنا ان نكف عن التمهويل من اجل البحث، للمرة الالف، في الاسباب التي تجعلنا دائما خائفين.

سمير قصير